الخلافات الفكرية بين المسلمين وتداعياتها على الخطاب الإسلامي المعاصر وعلاجه

إعداد

الدكتور
خالد عامر عبيد إبراهيم شويخ
تدريسي
كلية العلوم الإسلامية/ الرمادي
جامعة الأنبار
قسم العقيدة والدعوة والفكر
Isl.ka1978@ uoanbar.edu.iq
ISSN-2071-6028

ملخص بحث

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتمّ التسليم على سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وأصحابه أجمعين، والتابعين ومن تبع هداهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

فان البحث يتناول أبرز التحديات التي تواجه الخطاب الإسلامي المعاصر من الخلافات الفكرية التي تثار بين المسلمين وتداعياتها وأثارها السلبية، من صراعات فكرية وعقدية وسياسية، وتناول البحث بيان بعض المصطلحات التي تتعلق بالعنوان، وكذلك توصيف بعض الخلافات العقدية والفكرية والسياسية بين المسلمين، وتناول أيضا ابرز التداعيات السلبية والتحديات المعاصرة للخطاب الإسلامي، وبعد ذلك بيان ابرز الخطوات التي تساعد على علاج آثار هذه التداعيات أو ترشيدها في ضوء التوجيه الإسلامي، واشتمل على مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة، ويتفرع من المبحثين الأولين مطالب، المبحث الأول: بيان مفردات العنوان وما يتعلق بها، وأما المبحث الثاني فقد خصص للخلافات الفكرية بين المسلمين وتداعياتها على الخطاب الإسلامي المعاصر، وأما المبحث الثالث كان لسبل علاج الخلافات الفكرية وترشيد تداعياتها على الخطاب الإسلامي، والخاتمة ذكر فيها خلاصة البحث وابرز النتائج التي توصل إليها الباحث.

وتهدف الدراسة والبحث ترشيد تداعيات الفرقة والاختلاف في طريقة طرح الخطاب الإسلامي، وتقريب وجهات النظر المتباينة بين التيارات المختلفة بين المسلمين.

هذه أبرز المسائل التي تناولها البحث، وأسال الله أن يوفقني في هذا العمل، ويجعله خالصا لوجهه الكريم.. .. . إنه سميع مجيب

الكلمات المفتاحية : خلافات ، فكرية ، تداعيات

Abstract

The Intellectual Differences Between Muslims and their Repercussions on the Contemporary Islamic Discourse and their Treatment

The present research deals with the most prominent challenges which encounter the contemporary Islamic discourse of the intellectual differences, which being raised among Muslims, and their negative repercussions of intellectual, ideological, and political conflicts.

In addition, the research dealt with the characterization of some contractual, intellectual, and political disagreements, and their prominent repercussions. Then the research dealt with the most important steps which help to rationalize the division and differences, and approximate the disparate view among contemporary Islamic current.

Keywords: Differences, intellectual, repercussions

Dr. Khalid Ameer Ubied
Islamic Science college / Ramadi

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتمّ التسليم على سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وأصحابه أجمعين، والتابعين ومن تبع هداهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

فإن الخطاب الإسلامي بكونه: (البيان الذي يوجه باسم الإسلام إلى الناس مسلمين أو غير مسلمين، لدعوتهم إلى الإسلام، أو تعليمه لهم وتربيتهم عليه: عقيدة أو شريعة، عبادة أو معاملة، فكرا أو سلوكا، أو لشرح موقف الإسلام من قضايا الحياة والإنسان والعالم: فردية أو اجتماعية، روحية أو مادية، نظرية أو عملية)[1]، هو خطاب موجه إلى البشر ليسعدوا في دنياهم وأخراهم ولإصلاح أمرهم، وهو عبارة عن منهج متكامل يصلح لكل زمان ومكان، ولكن قد يتأثر هذا الخطاب من ناحية قبوله أو ردّه بين الناس، وانتشاره أو انحساره محليا أو عالميا، من دون أن يتأثر أصل الخطاب ومصدره ومضمونه الأساس فهو ثابت لا يتغير، وسبب هذا التأثر إنما ينتج عن تحديات تواجه الخطاب الإسلامي موجودة على أرض الواقع، ومن أبرز تلك التحديات المعاصرة هي (الخلافات الفكرية) وهذه الخلافات منها ما يكون بين المسلمين أنفسهم، ومنها ما يكون بين المسلمين وغير المسلمين، وفي هذا البحث سأتناول الخلافات الفكرية بين المسلمين، وسوف أتكلم عن الخلافات الفكرية مع غير المسلمين في بحث آخر إن شاء الله فلذلك وبعد الاتكال على الله قمت بدراسة هذا الموضوع تحت عنوان: ((الخلافات الفكرية بين المسلمين وتداعياتها على الخطاب الإسلامي المعاصر وعلاجها)).

---

(١) خطابنا الإسلامي في عصر العولمة، د. يوسف القرضاوي، دار الشروق، ط١، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٤م: ١٥.

وسبب اختياري الموضوع: ما نجده في وقتنا المعاصر من صراعات فكرية وعقدية وسياسية بين المسلمين وما تركته من تداعيات سلبية على الخطاب الإسلامي، لذا تناولت هذه الخلافات وتداعياتها وسبل علاجها وترشيدها.

والهدف من هذه الدراسة وهذا البحث: الحد من تداعيات الفرقة والاختلاف في طريقة طرح الخطاب الإسلامي، وتقريب وجهات النظر المتباينة بين التيارات الإسلامية فيما بينها.

وأما منهجي في كتابة البحث: يتمثل ببيان بعض صور الاختلافات الفكرية والعقدية والسياسية في وقتنا المعاصر من دون الدخول في تفصيلاتها، والتركيز على تداعياتها على الخطاب الإسلامي المعاصر، وسبل علاجها وترشيدها في ضوء التوجيه الإسلامي.

وأما خطة البحث: فكانت بعد هذه المقدمة على ثلاثة مباحث وخاتمة، على النحو الآتي:

المبحث الأول: تناولت فيه بيان مفردات العنوان وما يتعلق بها، وفيه مطلبان المطلب الأول: الخلافات الفكرية في اللغة والاصطلاح وأنواع الخلاف والمطلب الثاني: معنى الخطاب الإسلامي، وأما **المبحث الثاني** فقد خصصته للخلافات الفكرية بين المسلمين وتداعياتها على الخطاب الإسلامي المعاصر، وفيه مدخل وثلاثة مطالب، المطلب الأول: الخلافات العقدية المعاصرة، والمطلب الثاني: صور من الخلافات الفكرية بين المسلمين، والمطلب الثالث: تداعيات الخلافات الفكرية والعقدية على الخطاب الإسلامي والمطلب الرابع: الخلافات السياسية وتداعياتها على الخطاب الإسلامي وأما **المبحث الثالث** فتناولت فيه سبل علاج الخلافات الفكرية وترشيد تداعياتها على الخطاب الإسلامي، والخاتمة ذكرت فيها الخلاصة وأبرز النتائج التي توصلت إليها.

هذه أبرز المسائل التي أردت أن أشير إليها في هذه المقدمة، وأسال الله أن يوفقني في هذا العمل، ويجعله خالصا لوجهه الكريم.. .. . إنه سميع مجيب

الباحث

المبحث الأول:
بيان مفردات العنوان وما يتعلق بها

من أجل معرفة حدود البحث ؛ لابد من أن نبين بعض المفردات التي وردت في مفردات عنوان البحث في اللغة والاصطلاح وما يتعلق بها، وهذا ما سأتناوله في المطالب الآتية:

المطلب الأول:
الخلافات الفكرية في اللغة والاصطلاح، وأنواع الخلاف

لبيان مفهوم الخلافات الفكرية لابد من بيان مفردتي «الخلاف» و«الفكر» وما يتعلق بهما في اللغة والاصطلاح، وأنواع الخلاف المقبول منه والمردود، وهذا ما سأتناوله في النقاط الآتية:

أولا: معنى الخلاف والاختلاف في اللغة والاصطلاح.

١. الخلاف والاختلاف لغة:

تدور مادة خلف في أصول ثلاثة، أحدهما: أن يجيء شيء بعد شيء يقوم مقامه، والثاني: عكس قدّام، والثالث: التغيير(١). والخلاف مصدر خالف والاختلاف مصدر اختلف، والخلاف هو المضادة، وقد خالفه مخالفة وخلافاً، وتخالف الأمران واختلفا لم يتفقا، وكل ما لم يتساو فقد تخالف واختلف(٢). فالخلاف والاختلاف في اللغة ضد الاتفاق.

---

(١) ينظر: معجم مقاييس اللغة، لأبي الحسين أحمد بن زكريا بن فارس، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م: ٢/٢١٠، مادة «خلف».

(٢) ينظر: لسان العرب لمحمد بن مكرم بن منظور، تحقيق عبد الله علي الكبير، محمد أحمد حسب الله، هاشم محمد الشاذلي، دار المعارف، القاهرة: ٢/١٢٣٩-١٢٤٠، مادة «خلف».

٢. الخلاف والاختلاف في الاصطلاح:

الخلاف: (منازلة تجري بين المتعارضين لتحقيق حق أو لإبطال باطل)[١].

والاختلاف والمخالفة: أن يأخذ كل واحد طريقا غير طريق الآخر في حاله أو قوله، والخلاف أعم من الضد، لأن كل ضدين مختلفان وليس كل مختلفين ضدين، ولما كان الاختلاف بين الناس في القول قد يقتضي التنازع استعير ذلك للمنازعة والمجادلة[٢].

وقال الآمدي: (وأما الموافقة فمشاركة أحد الشخصين للآخر في صورة قول أو فعل أو ترك أو اعتقاد أو غير ذلك... وأما المخالفة، فقد تكون في القول وقد تكون في الفعل والترك، فالمخالفة في القول ترك امتثال ما اقتضاه القول، وأما المخالفة في الفعل فهو العدول عن فعل مثل ما فعله الغير مع وجوبه)[٣]، ويستعمل العلماء لفظ الخلاف والاختلاف في مدوناتهم بمعنى واحد، وان تكلّف بعضهم في التفريق بينهما[٤]، وقصارى الأمر هو اختلاف اصطلاحي فقط بعد بيان المعنى من السياق[٥].

---

(١) التعريفات، لعلي بن محمد بن علي الجرجاني، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ: ١٣٥، وينظر: التوقيف على مهمات التعاريف، لمحمد عبد الرؤوف المناوي، تحقيق محمد رضوان الداية، دار الفكر المعاصر، بيروت، ودار الفكر، دمشق، ط١، ١٤١٠هـ: ٣٢٢.

(٢) ينظر: المفردات غريب القرآن لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢هـ)، تحقيق محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، لبنان: ١٥٦.

(٣) الإحكام في أصول الأحكام، لأبي الحسن علي بن محمد الآمدي، (ت ٦٣١هـ)، تحقيق الدكتور سيد الجميلي، نشر دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ١٤٠٤هـ: ٢٢٧/١.

(٤) ذكر أبو البقاء أيوب بن موسى الكفوي بعض أوجه الفرق بين الخلاف والاختلاف، يرجع إلى كتاب الكليات، من تأليفه، تحقيق: عدنان درويش–ومحمد المصري مؤسسة الرسالة–بيروت، ١٤١٩هـ–١٩٩٨م: ٦١.

(٥) ينظر: ضوابط الاختلاف، د. عبد الله شعبان، دار الحديث، القاهرة، ط١، ١٤١٧هـ–١٩٩٧م: ١٥، وأدب الاختلاف، صالح بن عبد الله بن حميد، نائب الرئيس العام لشئون المسجد الحرام، وزارة الإعلام، ط٣، ١٤١٢هـ: ٧.

ومما سبق نجد أن الخلاف والاختلاف بمعنى واحد ولاسيّما في اللغة، وأحدهما يطلق على ما يطلق عليه الآخر، وهما مترادفان والسياق هو الذي يفرّق بين المقبول منهما والمردود –والله أعلم–.

ثانيا: الفكر في اللغة وفي الاصطلاح:

الفكر لغةً: بكسر الفاء أو فتحها إعمال النظر في الشيء، أو إعمال الخاطر في الشيء وهو العقل، وقيل: هو ما ترد القلب في الشيء يقال تفكر إذا ردد قلبه معتبراً، والجمع أفكار والفكر هو التأمل(١).

والفكر في الاصطلاح: هو ترتيب أمور معلومة لتؤدي إلى مجهول(٢). والتفكير: (هو نقل الحس بالواقع إلى الدماغ بواسطة الحواس ووجود معلومات سابقة يفسّر بواسطتها هذا الواقع)(٣).

(١) ينظر: معجم مقاييس اللغة: ٤٤٦/٤، ولسان العرب: ٣٤٥١/٥، والقاموس المحيط، لمحمد بن يعقوب الفيروزآبادي، نشر مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان: ٥٨٨، وتاج العروس من جواهر القاموس، لمحمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، الملقّب بمرتضى الزَّبيدي، تحقيق مجموعة من المحققين، دار الهداية: ٣٤٥/١٣، مادة «فكر».

(٢) التعريفات: ٢١٧، وينظر: التوقيف على مهام التعاريف: ٥٦٣.

(٣) التفكير: لمحمد تقي الدين، ط١، ١٣٩٣هـ-١٩٧٣م: ص٢٦.

وأما الفكر الإسلامي: فقد دارت حول هذا المصطلح تعريفات كثيرة[١]، ومنها (المحاولات العقلية والجهود العلمية التي بذلها المسلمون منذ انتقال الرسول ﷺ إلى جوار ربه لفهم الإسلام وعرضه، ومواجهة المشكلات الواقعة في ضوء أصوله ومبادئه)[٢].

ثالثا: أنواع الخلاف، المقبول منه والمردود:

يمكننا تقسيم الكلام عن الخلاف من وجهين: **الأول:** من حيث أنواعه، **والثاني** من حيث قبوله أو ردّه، أما من حيث أنواعه فينقسم إلى اختلاف تنوع وتضاد، وأما من حيث قبوله وردّه فينقسم إلى مذموم أو ممدوح أو سائغ، وهو كالآتي:

التقسيم الأول: اختلاف تنوع وتضاد: ينقسم الخلاف إلى اختلاف تنوع وتضاد.

أ. اختلاف التنوع على وجوه:

منه ما يكون كل واحد من القولين حقاً، كما في القراءات التي اختلف فيها الصحابة ﷺ ومثله اختلاف الأنواع في صيغة الإقامة، ودعاء الاستفتاح، ومحل سجود السهو ونحو ذلك مما قد شُرّع جميعه وان كان بعضه أرجح من بعض.

ومنه ما يكون كلا القولين بمعنى الآخر، لكن العبارتان مختلفتان، كما يختلف كثير من الناس في ألفاظ الحدود وصيغ الأدلة والتعبير عن المسميات، ثم يحمل الجهل أو الظلم على قبول إحدى المقالتين وحمدها وذم الأخرى والاعتداء على قائلها.

ومنه ما يكون المعنيان متغايرين لكن لا يتنافيان فكلاهما صحيح وان لم يكن معنى احدهما هو معنى الآخر.

---

(١) نقلت عدة تعريفات للفكر الإسلامي في أطروحتي للدكتوراه وهي بعنوان (التقدم العلمي المعاصر وأثره في خدمة الفكر الإسلامي) تمت مناقشتها في كلية الإمام الأعظم ببغداد، ٢٠١٢م، للاطلاع أكثر يمكن الرجوع إليها.

(٢) محاضرات في الثقافة الإسلامية، د. راشد شهوان، كلية الدعوة وأصول الدين، جامعة البلقاء التطبيقية، ١٩٩٤م: ٤٥.

ومنه ما يكون كلا الطريقتين مشروعتين، ولكن قد سلك رجل أو قوم هذه الطريقة وآخرون قد سلكوا الأخرى، وكلاهما حسن في الدين ثم الجهل في الدين أو الظلم يحمل على ذم احدهما أو تفضيله بلا قصد صالح أو بلا علم.

ب. أما اختلاف التضاد:

فهو القولان المتنافيان إما في الأصول وإما في الفروع، والذي يكون المصيب فيهما قول واحد(١)، فالتضاد هو انه لا يمكن أن يجمع بين القولين، إذ لا بد من أن يكون الحق مع احدهما والباطل مع الآخر.

والاختلاف من القسم الأول –وهو اختلاف التنوع– يكون مذموما إذا بغى أحدهما فيه على الآخر، وأما النوع الثاني وهو التضاد: فهو ما حُمِد فيه إحدى الطائفتين وهم المؤمنون وذم الأخرى كما في قوله تعالى: ﴿وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقۡتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعۡدِهِم مِّنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخۡتَلَفُواْ فَمِنۡهُم مَّنۡ ءَامَنَ وَمِنۡهُم مَّن كَفَرَ﴾(٢)، وهذا الاختلاف حاصل في الأصول.

(١) ينظر: اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم، لأبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، تحقيق: محمد حامد الفقي، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة، ط٢، ١٣٦٩هـ: ٣٧–٣٨، وشرح العقيدة الطحاوية لصدر الدين محمد بن علاء الدين عليّ بن محمد ابن أبي العز الحنفي الدمشقي (ت ٧٩٢هـ)، تحقيق: جماعة من العلماء، تخريج: ناصر الدين الألباني، دار السلام للطباعة عن مطبوعة المكتب الإسلامي، ط١، ١٤٢٦هـ–٢٠٠٥م: ٥١٤–٥١٦، والإتقان في علوم القرآن، للحافظ أبي الفضل جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١هـ)، تحقيق مركز الدراسات القرآنية، طبع مجمّع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٤٢٦هـ: ٢٢٧٨/٦.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٥٣.

وأكثر الاختلاف الذي يؤول إلى الأهواء بين الأمة الإسلامية داخلياً هو من القسم الأول الذي تجاوز أصحابه الحد وأوصلهم إلى مرحلة العداوة والبغضاء بينهم وسفك الدماء، لأن إحدى الطائفتين لا تعترف للأخرى بما معها من الحق ولا تنصفها ؛ ولذلك جعل الله مصدر الاختلاف البغي في قوله: ﴿وَمَا ٱخۡتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡ﴾[1]، لأن البغي مجاوزة الحد[2].

لذلك يمكن القول إن الخلاف إذا كان داخلياً بين المسلمين فهو اختلاف تنوع ومنه مقبول ومنه مردود، وإذا كان مع غير المسلمين، أو مع الفرق التي تخالف الإسلام في أصوله فهو اختلاف تضاد.

التقسيم الثاني: من حيث قبوله أو ردّه، وينقسم إلى مذموم أو ممدوح أو سائغ.

فالمذموم: له صور كثيرة وبعضها اشد ذمّاً من بعض كاختلاف البشر إلى مؤمن وكافر، وفي هذا قال تعالى: ﴿هَٰذَانِ خَصۡمَانِ ٱخۡتَصَمُواْ فِي رَبِّهِمۡ﴾[3]، ومنه الاختلاف في الأصول، وهذا من الاختلاف المذموم، فأحدهما محقٌّ موافق للشرع والآخر على باطل، ومنه خلاف أهل الأهواء والضلال كخلاف الخوارج وأشباههم مما دعاهم إلى الخروج عن جماعة المسلمين ومخالفتهم، ومنه الخلاف في الفروع الذي يقترن بالبغي والخصومة والنزاع، وأما **الخلاف الممدوح:** فيقصد به مخالفة المشركين وأهل الكتاب وأهل الفسوق.

(١) سورة البقرة، الآية: ٢١٣.

(٢) ينظر: اقتضاء الصراط المستقيم: ٣٩، وشرح الطحاوية: ١/٥١٥-٥١٦.

(٣) سورة الحج، الآية: ١٩.

وأما الخلاف السائغ: فهو اختلاف المجتهدين من فقهاء ومفتين في مسائل اجتهادية، قال ﷺ: ((إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران، وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر))[١]، وهو دليل على إمكان خطأ المجتهد وحصول الخطأ يعني إمكانية حصول الاختلاف، وهذا النوع من الخلاف يكون في الفروع دون الأصول، فإن كان عن اجتهاد دون أن يؤدي ذلك إلى العداوة والبغضاء والتنافر فهو من النوع السائغ، وإلا كان هذا الخلاف مذموماً، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗا لَّسۡتَ مِنۡهُمۡ فِي شَيۡءٍۚ إِنَّمَآ أَمۡرُهُمۡ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ﴾[٢].

فالخلاف إذا كان في الفروع ولم يؤدِ إلى نزاع وبغضاء فهو من النوع الممدوح، وما زال العلماء والفقهاء وحكام المسلمين يختلفون في المسائل منذ عهد الصحابة والى اليوم والى ما شاء الله دون إنكار لأصل هذا النوع من الخلاف ما لم يخرج عن ضوابطه الشرعية[٣].

(١) صحيح البخاري، لمحمد بن إسماعيل أبي عبد الله البخاري (ت ٢٥٦هـ)، تحقيق د. مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، بيروت، ط٣، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م، من حديث عمرو بن العاص، برقم (٦٩١٩) كتاب الاعتصام، باب اجر الحاكم اذا اجتهد فأصاب أو اخطأ: ٢٦٧٦/٦، وصحيح مسلم «الجامع الصحيح»: لابي الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري، دار الجيل، ودار الآفاق الجديدة، بيروت. برقم (٤٥٨٤) كتاب الأقضية، باب اجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب أو اخطأ: ١٣١/٥.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ١٥٩.

(٣) ينظر: أدب الاختلاف، ٩-١٠.

المطلب الثاني:

معنى الخطاب الإسلامي

من المفردات التي وردت في عنوان البحث «الخطاب الإسلامي» وعليه سنبين المقصود بـ«الخطاب» في اللغة وفي الاصطلاح، ثم نشرع ببيان معنى «الخطاب الإسلامي»:

أولا: الخطاب لغةً: من خطب، وهو أصل لكلام بين اثنين، يقال خاطبه يخاطبه خطاباً، والخطبة من ذلك، وفي النكاح الطلب أن يُزوّج(١).

والخطاب والمخاطبة: مراجعة الكلام، وقد خاطبه بالكلام مخاطبةً وخطاباً، وهما يتخاطبان، قال تعالى: ﴿وَلَا تُخَٰطِبۡنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ﴾(٢)، والخَطْب: الشأن أو الأمر صَغُرَ أو عَظُم(٣).

ثانيا: الخطاب اصطلاحاً: (هو القول الذي يفهم المخاطب به شيئاً، والخطابة: قياس مركب من مقدمات مقبولة أو مظنونة من شخص معتقد فيه، والغرض منها ترغيب الناس فيما ينفعهم معاشاً ومعاداً كما يفعله الخطباء والوعاظ)(٤)، وعبر عنه بعضهم بأنه: (توجيه الكلام نحو الغير للإفهام، والمراد بخطاب الله إفادة الكلام النفسي الأزلي)(٥).

وعرّف إمام الحرمين الجويني الخطاب والكلام والتكلّم بقوله: (حقيقته ما يفهم منه الأمر والنهي والخبر)(٦)، فالخطاب هو أداة التبليغ والتواصل بين أبناء الأمة نفسها

---

(١) معجم مقاييس اللغة: ١٩٨/٢.

(٢) سورة هود، الآية: ٣٧.

(٣) ينظر: لسان العرب: ١١٩٤/٢–١١٩٥، وتاج العروس: ٣٧٥/٢.

(٤) التعريفات: ٣١٦.

(٥) الحدود الأنيقة والتعريفات الدقيقة، لأبي يحيى زكريا بن محمد بن زكريا الأنصاري، تحقيق: د. مازن المبارك، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط١، ١٤١١هـ: ٦٨.

(٦) الكافية في الجدل، لإمام الحرمين أبي المعالي الجويني، تحقيق د. فوقية حسين محمود، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، ١٩٣٣هـ–١٩٧٩م: ٣٢.

وبينها وبين الأمم الأخرى، ومضمون هذا الخطاب هو الذي يقرر معيار نضج الأمة ونجاحها من فشلها.

ثالثا: الخطاب الإسلامي:

بعد أن عرفنا معنى الخطاب لغة واصطلاحا، وفي حال نسبته للإسلام بقولنا «الخطاب الإسلامي»، يمكننا أن نرُدَّ مكونات الخطاب الإسلامي إلى نوعين: المكون الشرعي وهو ما جاء به الوحي الإلهي من قرآن وسنة نبوية صحيحة وهو أصل الخطاب الإسلامي ومنطلقه ومرجعيته الثابتة الدائمة، لكونه صادرا عن الله سبحانه الذي أبدع الوجود كله.

والمكون البشري، وهو ما فهمه واستنبطه البشر من النصوص الشرعية وما نتج عن ذلك فكرا كان أو فقها أو علوما وأدبا. لذلك فهو فرعٌ للمكون الأول ومؤسس منه وإليه(١).

ونحن في هذا البحث عندما نذكر الخطاب الإسلامي المعاصر، إنما نقصد بذلك الخطاب الذي مرده المكون البشري ؛ لذلك اعتمدت التعريف الذي ذكرته في مقدمة البحث:

الخطاب الإسلامي: هو (البيان الذي يوجه باسم الإسلام إلى الناس مسلمين أو غير مسلمين، لدعوتهم إلى الإسلام، أو تعليمه لهم وتربيتهم عليه: عقيدة أو شريعة، عبادة أو معاملة، فكرا أو سلوكا، أو لشرح موقف الإسلام من قضايا الحياة والإنسان والعالم: فردية أو اجتماعية، روحية أو مادية، نظرية أو عملية)(٢).

---

(١) الخطاب الإسلامي المعاصر بين الثابت والمتغير، بحث نور الدين بوكردید: ١٤٢٨/٢/٢١هـ-٢٠٠٧/٠٣/١١) موسوعة الرد على المذاهب الفكرية المعاصرة: ١-٢٩، جمع وإعداد الباحث في القرآن والسنة، علي بن نايف الشحود، الباب الثامن: ٢٧/١٥٠.

(٢) خطابنا الإسلامي في عصر العولمة: ١٥.

وطريقة تبليغ هذا الخطاب عن طريق الدعوة الإسلامية وأساليبها ووسائلها، قال تعالى: ﴿ وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُواْ ٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ ﴾[2].

وتوجد أساليب شتى ووسائل قديمة وحديثة لتبليغ هذا الخطاب: من الخطبة والدرس والمقالات والرسائل والكتب والندوات والمؤتمرات ووسائل الاتصال المعاصرة من الإنترنت وتوابعه من مواقع التواصل الاجتماعي ونحوها، وكذلك وسائل الاتصال المعاصرة المسموعة والمرئية من الإذاعات والقنوات الفضائية وغير ذلك.

(١) سورة الإسراء، الآية: ٥٣.

(٢) سورة النحل، الآية: ١٢٥.

المبحث الثاني:
الخلافات الفكرية بين المسلمين
وتداعياتها على الخطاب الإسلامي المعاصر

وفيه مدخل وثلاثة مطالب:

مدخل:

لم يخش على الأمة الإسلامية الفقر بقدر ما كان يخشى عليها أن تبسط عليهم الدنيا كما بسطت لمن قبلهم، وكان هذا الأمر واضحا في قول سيدنا عمر بن الخطاب ﷺ عندما أتي إليه بغنائم من غنائم القادسية فجعل يتصفحها وينظر إليها وهو يبكي ومعه عبد الرحمن بن عوف فقال له عبد الرحمن: يا أمير المؤمنين، هذا يوم فرح وهذا يوم سرور فقال: (أجل ولكن لم يؤت هذا قوم قط إلا أورثتهم العداوة والبغضاء)[١]، فبعد أن استقر الأمر بالمسلمين وفتحت الأمصار واتسع لهم الرزق، ووجدوا فسحة من الزمن، ظهر هناك نوع من الترف الفكري إلى جانب الترف المادي، فظهرت الفلسفة وعلم الكلام ومباحث عقلية وجدلية عدّة ؛ مما أدى إلى ظهور خلافات فكرية وعقدية ومن تداعياتها ظهور فرق وتيارات داخل الساحة الإسلامية[٢].

ويقول ابن خلدون في مقدمته: (القلوب إذا تداعت إلى أهواء الباطل والميل إلى الدنيا حصل التنافس ونشأ الخلاف، وإذا انصرفت إلى الحق ورفضت الدنيا والباطل وأقبلت على الله؛ اتحدت وجهتها وذهب التنافس وقلّ الخلاف وحسن التعاون والتعاضد واتسع نطاق الكلمة فعظمت الدولة)[٣].

---

(١) السنن الكبرى: لأبي بكر البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخراساني (ت ٤٥٨هـ)، تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط٣، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م، من حديث الْمِسْوَرِ بْنِ مَخْرَمَةَ، برقم (١٣٠٣٤) كتاب قسم الفيء والغنيمة، بابُ الاخْتِيَارِ فِي التَّعْجِيلِ بِقِسْمَةِ مَالِ الْفَيْءِ إِذَا اجْتَمَعَ: ٥٨٢/٦.

(٢) العقيدة الإسلامية -أركانها -حقائقها -مفسداتها، للدكتور مصطفى سعيد الخن والدكتور محيي الدين ديب مستو، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، ط٦، ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م: ركن ٥٢.

(٣) مقدمة ابن خلدون، لعبد الرحمن بن محمد بن خلدون (ت ٨٠٨هـ)، دار القلم، بيروت، ١٩٨٤م: ١٥٧.

ومن أبرز أسباب قيام الجدل هو الترف المادي ثم الترف الفكري فحين تتشبع العلوم وتتشعب الفنون تميل النفوس إلى بحث كل شاردة وواردة، وتميل أيضا إلى الطرائف واللطائف ثم للغرائب ولكل مخالف، وكلما بعد الزمن من عصر النبوة خفت المشكاة الربانية(١).

ومن الأسباب الخارجية لنشأة الجدل والخلاف الاحتكاك الثقافي بين الحضارة الإسلامية والحضارات الأجنبية مما أدى تسرب الأفكار المنحرفة إلى البيئة الإسلامية فأفسدتها وأفرزت سمومها وانتهت إلى ظهور تيارات فكرية وفرق منحرفة(٢).

المطلب الأول:

الخلافات العقدية المعاصرة

الدين الإسلامي يشتمل على أصول وفروع، والخلاف المذموم في الإسلام هو ما كان خلافاً في الأصول، أو كان في الفروع وجرّ إلى منازعة أو خصومة وتعصب بين المسلمين.

والخلافات العقدية تتعلق بأصول الدين؛ لأن مباحث العقيدة الإسلامية تتعلق بالأصول، وسبب إدراج الخلافات العقدية ضمن مبحث الخلافات الفكرية؛ يعود إلى أن سبب تلك الخلافات هو العقل الإنساني في تعامله مع تلك الأصول، وإلا فالعقيدة ثابتة لا تتغير، وإنما التغيير يكون في فهم النص، أو قبول هذه الأصول أو ردها، وردها يكون إما عن جهل أو بلا دليل.

وجميع الاختلافات الفكرية والعقدية المذموم منها تمثل خروجا عن الاعتدال والوسطية في الخطاب الإسلامي وأهدافه، والوسطية في الخطاب الإسلامي لا تعني

---

(١) أسباب الاختلاف بين المسلمين، لبليل عبدالكريم مقال منشور على موقع الالوكة، تاريخ الإضافة: ٢٠١٢/١١/١ ميلادي – ١٤٣٣/١٢/١٧ هجري. http://www.alukah.net.

(٢) ينظر: الفكر الإسلامي تجديده وتقويمه، للدكتور محسن عبد الحميد، دار الأنبار وتقويمه: ١٥و١٦ ونحو هذا الكلام، ينظر: الثقافة والعقيدة الإسلامية للدكتور محمد عزيز نظمي سالم، مؤسسة شباب الجامعة، ١٩٨٦م، الإسكندرية، مصر: ١٠ وما بعدها.

الوقوف بين الحق والباطل، بل تعني الوقوف على المساحة المخصصة للحق وعدم الخروج يمينا أو شمالا بالتدافع الفكري أو العقدي.

والخلاف في أصول الدين بين المسلمين له تداعيات خطيرة على الخطاب الإسلامي، حيث يشق عصا المسلمين، ويمثل تحديا كبيرا أمام القيام بمهام الدعوة الإسلامية ونشرها وتبليغها.

وهذا النوع من الخلاف له تداعيات على الخطاب الإسلامي أقوى وأوقع من تداعيات الخلاف في الفروع، لأنه يستلزم المنازعة والخصومة بين أفراد الأمة الإسلامية، وبغض النظر عن وجود الحق مع أي جانب، فانه من الناحية العملية يمثل اكبر تحدي للأمة الإسلامية وخطابها، قال تعالى: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾(١).

ولو نظرنا إلى المناهج أو التيارات الإسلامية في وقتنا المعاصر لوجدنا الجميع يطمح ويدّعي أن يكون شرع الله مطبقاً على الأرض، لكن اختلف المنظرون لهذا الجماعات.

فبعضهم يرى ضرورة العناية بإصلاح القلب، الذي هو المضغة التي إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، فهم يركزون على الجانب الروحي.

ويرى آخرون إلى انه يجب التركيز على أن تكون عقائد الأمة سالمة من الشرك والبدع، وان تكون العقيدة صحيحة راسخة في قلوب المؤمنين سالمة من الترهلات الفكرية والفلسفية التي تثقل جسد الأمة الإسلامية في أمور غير ضرورية.

كما يرى غيرهم انه ينبغي التركيز على إقامة دولة تحكم بشرع الله، والدعوة إلى إعادة الخلافة الإسلامية، فإذا تحقق ذلك كان هذا قمة الإصلاح للأمة قال تعالى:

(١) سورة الأنفال، الآية: ٤٦.

﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴾(١).

ووفقا للمعطيات السابقة تشكلت بعض الاتجاهات الإسلامية، ولو نظرنا إليها لوجدناها جميعاً تتفق على الحرص على سير عجلة الدعوة الإسلامية وإقامة الخطاب الإسلامي بين الناس(٢).

والاختلاف من الناحية النظرية هو اختلاف من حيث الأولويات والجميع متفق على الثوابت. ولكن قد يتحول هذا الاختلاف إلى اختلاف مذموم ويتسلل إلى مسائل عقدية تتعلق بأصول الدين.

ويرجع أساس تلك الخلافات في حال تعاظمها، بداية على أنها ردود أفعال منضبطة تجاه أخطاء معينة تصدر من أفراد أو جماعات، ثم بعد ذلك وبمرور الوقت تصبح اتجاهات فكرية أو عقدية، قد يطرأ عليها الغلو فتخرج عن جادة الصواب، ثم يأتي تيار آخر معاكس ليحارب ذلك التطرف وهكذا، والمقبول من هذا التقابل هو ما كان على خط الاعتدال ولم يخرج عن دائرة الحق، وإلا كان مذموما.

ومن نماذج هذه الاتجاهات هي التوجهات الإسلامية التي تندرج تحت المدارس الصوفية والسلفية والأحزاب الإسلامية، والمتكلمين والفلاسفة وغيرهم، وفيهم صاحب الحق وفيهم المخطئ.

والسبب الرئيس في وجود الصراعات والخلافات العقدية بين بعض تلك الاتجاهات يعود إلى الغلو في تطبيق مناهجها من قبل المتشددين والمتعصبين من هذا الاتجاه أو ذاك، و قد يتحول إلى صراع عقدي أو فكري، ثم إلى صراع داخلي بين أفراد

---

(١) سورة الحج، الآية: ٤١.

(٢) ينظر: موقع إسلام ويب، على شبكة الإنترنت، مركز الفتوى، جواب لسؤال عن أسباب اختلاف المدارس الإسلامية الفكرية، رقم: ٣٤٢١٢، الأربعاء ١/جمادي الأولى/١٤٢٤هـ-٢٠٠٣، http://fatwa.islamweb.

الأمة الإسلامية، وهذا ما نجده يصدر من المتشددين والمتعصبين –غير المعتدلين– من المدارس الصوفية والسلفية وبعض الأحزاب الإسلامية والفرق الكلامية.

وأكثر مسافة للتباعد والتناحر والاختلاف وأشدها أثرا على الخطاب الإسلامي هو ما نجده من صراع وخلاف بين المتشددين من كل فريق، بينما يمثل التيار المعتدل في جميع هذه الاتجاهات الخط العام للمسلمين.

والخلاف الحاصل بين المعتدلين من أصحاب هذه الاتجاهات تكون تداعياته اقل ضرراً على الخطاب الإسلامي فيما لو كان بين المتشددين منهم.

وهناك صورة أخرى من الخلافات العقدية بين المسلمين، وهو الخلاف الذي مبناه أحداث تاريخية وقعت في بدايات عصر الدولة الإسلامية بعد وفاة النبي ﷺ، والتي تتعلق بالإمامة والعصمة وتولي الخلافة وغير ذلك من المسائل العقدية، وهو الصراع المتمثل بين الشيعة والسنة وما تفرع منها من طوائف وفرق، وبغض النظر عن المخطئ والمصيب منهما، ومن تفصيلات ذلك الصراع –لأننا لسنا بصدد ذلك– فإن هذا الخلاف قد يدور بين الخلاف العقدي والخلاف السياسي والخلاف الفكري والخلاف الفقهي المتمثل بالفروع.

وإذا كان الصراع بين الطوائف السنية والشيعية مقتصراً على المسائل الفرعية والأمور الفقهية فلا يدعو للقلق، ولكن الأمر الذي يدعو إلى القلق هو أن يتحول إلى صراع عقدي أو سياسي، إما عن سوء تصرف أو جهل أو تدخل خارجي.

لذا نجد في وقتنا المعاصر هذه الاختلافات تتزايد أو تتناقص بحجم نوع الخلافات التي تطرح في الساحة الداخلية وتصنيف المسائل التي تثار والتدخل الخارجي، وكلما كان الخلاف يتعلق بمسائل أصول الدين كانت تداعيات هذا الخلاف اكبر على الخطاب الإسلامي والدعوة الإسلامية.

ومن ابرز معالم هذا الخلاف هو الخلاف السياسي الذي يبنى على أساس عقدي كالذي يتعلق بالإمامة والعصمة واستحقاق الخلافة بعد وفاة النبي محمد ﷺ، وولاية

الفقيه وغير ذلك من المسائل العقدية الواقعة بين بعض البلدان الإسلامية أو داخل البلد الواحد، كما هو الخلاف الموجود بين جمهورية إيران وبعض الدول العربية، أو بين الأحزاب والطوائف داخل البلد الواحد كما هو في العراق والبحرين وسوريا ولبنان، حيث تحول هذا الخلاف العقدي إلى صراع طائفي واقتتال داخلي برؤية سياسية، كما حدث ذلك في العراق وكانت ذروته بعد تفجير ضريحي الإمامين العسكريين في سامراء(١).

وأيّاً كان شكل هذا الخلاف المذموم، وتحت إي مسمى، فإن له تداعيات سلبية على الخطاب الإسلامي المعاصر، وهذا ما سنتناوله في المطلب الثالث، بعد ذكر صور من الاختلافات الفكرية بين المسلمين.

المطلب الثاني:

صور من الخلافات الفكرية بين المسلمين

تحدثنا عن الخلافات العقدية التي تمس أصول الدين، ولكن هناك خلافات فكرية تكون في الفروع تخرج عن حدها السائغ إلى المذموم، عن طريق تأثرها بالأفكار الخارجية، أو التعصب المذهبي أو الطائفي، أو الاختلاف في طريقة عرض الخطاب الإسلامي من حيث التشدد والتساهل والتوسط، أو الاختلاف في دلالة الاصطلاحات

---

(١) تفجير ضريح العسكريين: هي عملية تفجير منظمة حدثت صباح يوم الأربعاء ٢٢ فبراير ٢٠٠٦، استهدفت ضريحي الإمامين علي الهادي والحسن العسكري في سامراء في العراق الذي له قدسية لدى الشيعة وقسم من السنة، إذ قام مسلحون يرتدون زي الشرطة ينتمون إلى جماعات مسلحة باقتحام المرقد وتقييد أفراد شرطة الحماية الخمسة وقاموا بزرع عبوتين ناسفتين تحت قبة الضريح وفجروها بعد ذلك، مما أدّى إلى انهيار القبة الخاصة بالضريح، وقد أدى إلى اشتعال الفتنة بين الشيعة والسنة في العراق حيث كانت بغداد مسرحاً لأعمال التصفية الطائفية من قبل جهات وميلشيات مجهولة: ينظر: ملابسات تفجير قبة مرقد الإمام الهادي بسامراء: مقال تم نشره يوم، الخميس ١٤٢٧/١/٢٣هـ-الموافق ٢٠٠٦/٢/٢٣م. على الموقع الإلكتروني لقناة الجزيرة نت. رابط: http: //www. aljazeera. net/news/pages/fd.. والموسوعة الحرة، ويكبيديا، تحت عنوان (تفجير ضريح العسكريين ٢٠٠٦) http: //ar. wikipedia. org/wiki/

وغير ذلك، كل هذا ألقى بتداعياته على الخطاب الإسلامي والدعوة الإسلامية وانتشارها، وللخلافات الفكرية المعاصرة بين المسلمين صور عدّة، نختار منها:

الصورة الأولى: في القرن الأخير بدأت الحضارة الغربية هجومها على البلاد الإسلامية، وأصبح تأثيرها وتداعياتها المختلفة واضحاً على البلاد الإسلامية، وكان من معالم هذا التأثير ظهور تيارين فكريين في المجتمعات الإسلامية.

التيار الأول عبارة عن تيار يدعو إلى الاقتداء بالغرب ويرفض الآداب والسنن القديمة.

فيما يتشكل التيار الثاني من العناصر المتدينة الملتزمة بالإسلام، فتدافع عن المعتقدات والقيم الإسلامية وعن الآداب والتقاليد والسنن القديمة التي أقرها الإسلام.

وفي مقابل هذين التيارين تيار ثالث يعتمد على أساس نظرية التقارب بين التيارات الفكرية فيسعى إلى جمع النقاط الإيجابية بين تياري القديم والحديث وإيجاد التعايش السلمي بينهما(١).

وهذا التنوع في الاتجاهات الفكرية والخلاف الحاصل بينهما هو اختلاف داخلي من الناحية العملية وإن كان فيه جانب خارجي من الناحية التأثيرية؛ لأن قسما من الإسلاميين في وقتنا المعاصر بدأ يتأثر بالخطاب الخارجي ويقدمه على الخطاب الإسلامي أو يجعله بديلاً عنه.

الصورة الثانية: هو الاختلاف في طريقة طرح الخطاب الإسلامي والدعوة إليه وتبليغه، فهناك من يكون متشدداً في طرح الخطاب إلى مرحلة يتجاوز فيها الحد المسموح ليصل إلى الغلو والغلظة، فينفر من حوله وليس هذا فحسب، بل ينكر على من يختلف معه في طريقة طرح الخطاب، فينفّر الناس منه وان كان خطابه تحت عنوان إسلامي.

---

(١) نظرية التقارب والتباعد بين التيارات الفكرية: مقال لمحمد حسين القدوسي، منشور في مجلة صحيفة الوسط البحرينية، العدد ٢٠٠٩ الجمعة ٧ مارس ٢٠٠٨م، الموافق ٢٨ صفر ١٤٢٩هـ، ومجلة الفكر الجديد، عدد ١٧- نيسان ١٩٩٨م.

ولقد أشار القرآن الكريم على هذه الاحتمالية في طرح الخطاب وهو يخاطب النبي ﷺ فقال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ﴾(١).

وبالاتجاه المعاكس هناك من يطرح الخطاب الإسلامي بشكل متساهل ومتهاون متجردا عن الثوابت الشرعية، حتى يفقد الإسلام هويته وهيبته وعزته، ويصوره على انه دين متلون يتغير مكانا وزمانا مع كل ثقافة وافدة دون تمحيص –والحق أن الدين الإسلامي يصلح لكل زمان ومكان ولكن لا يتلون معهما أو يتغير بهما– وذلك متمثلا ببعض التيارات الفكرية في الوسط الإسلامي المتأثرة بالأفكار الأجنبية ومبادئ الحضارات الأخرى التي تعارض الإسلام وتتقاطع معه.

وهناك تيار وسطي معتدل في طرح الخطاب الإسلامي يجمع بين الترغيب والترهيب وفق المنهج القرآني المعتدل ووفق المنهج الذي طرحه النبي ﷺ في دعوته الإسلامية وتبليغها قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾(٢). وقال تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾(٣).

الصورة الثالثة: الاختلاف في دلالة بعض المصطلحات ليتحول إلى صراع فكري وسجال ديني وجدال سلبي (فإن كثيرا من نزاع الناس سببه ألفاظ مجملة مبتدعة ومعان مشتبهة، حتى تجد الرجلين يتخاصمان ويتعاديان على إطلاق ألفاظ ونفيها، ولو سئل كل منهما عن معنى ما قاله لم يتصوره فضلاً عن أن يعرف دليله، ولو عرف دليله لم

(١) سورة آل عمران: الآية ١٥٩.
(٢) سورة البقرة، الآية: ١٤٣.
(٣) سورة الإسراء، الآية: ٢٩.

يلزم أن من خالفه يكون مخطئاً بل يكون في قوله نوع من الصواب، وقد يكون هذا مصيباً من وجه وهذا مصيباً من وجه، وقد يكون الصواب في قول ثالث)[1].

وقد يفضي الاختلاف في الاصطلاحات إلى الخصومة ورد الآخر، مع أنهما قد يكونان متفقين في الثوابت، ومن ذلك إطلاق لفظ البدعة وما يتعلق بها، أو لفظ الكفر أو الشرك أو المدد أو الجاه أو يا الاستغاثة كقول يا محمد وغيره، وألفاظ أخرى واصطلاحات لا مجال لذكرها والدخول في تفصيلاتها.

(١) مجموع الفتاوى لأحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني. تحقيق، أنور الباز، عامر الجزار، دار الوفاء، ط٣، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م: ١١٤/١٢.

المطلب الثالث:

تداعيات الخلافات الفكرية والعقدية على الخطاب الإسلامي

للخلافات الفكرية والعقدية تداعيات سلبية على الخطاب الإسلامي من حيث قبوله وانتشاره داخل الأمة الإسلامية وخارجها، واعتماده منهجا من الناحية التطبيقية، ومن ابرز هذه التداعيات:

١- إشغال الدعاة عن واجب نشر الخطاب الإسلامي العام وتبليغه: فإن هذه الخلافات تضعف الأمة الإسلامية سيما الخلاف في أصول الدين، ليصل الغلو أحيانا إلى تكفير كلٍ منهما الآخر وهذا الأمر بحد ذاته مصدر وهن للأمة الإسلامية واستنزاف لقوّتها وطاقاتها الدعوية.

٢- تحوّل الخطاب من خطاب إسلامي عام إلى خطاب خاص: وهذا الخطاب الخاص يدعو إلى الطائفة أو المذهب أو الاتجاه الفكري، وهو خطاب يتضمن إقصاء الآخر أو محاربته فنشغل بالأجزاء على حساب الأصل.

٣- صرف الأنظار عن الدخول في الإسلام وتقويض انتشاره: فالصراعات في الساحة الإسلامية والخلافات المذمومة، من شأنها أن تصرف أنظار من يريد الدخول في الإسلام؛ لأنها تترك انطباعاً سيئاً عن صورة الإسلام، وتستدعي انعدام الثقة بالخطاب الإسلامي، للزعم الخاطئ الذي ينتج عن ذلك، من أن هذا الصراع جزء من الإسلام.

٤- ضعف الحصانة الفكرية التي تقاوم الغزو الثقافي الخارجي: إذ تترك هذه الخلافات ثغرة يستفيد منها أعداء الإسلام، تمكّنهم التسلل إلى جسد الأمة الإسلامية لبَثِّ سمومهم فيها، وهذا الأمر يعطي فرصة سانحة للتيارات الفكرية غير الإسلامية لتقرير أفكارها وقواعدها في الساحة الداخلية الإسلامية.

٥- رد المقابل على أساس الخصومة لا الحق: إذ يقتضي التنازع العقدي والفكري بين المسلمين أحيانا، أن يرد بعضهم منهج الآخر جملة وتفصيلاً ولا يقبله

مطلقاً، وان كان جانب من الحق موجودا في هذا المنهج، فيقع في خطيئة رده للحق.

٦- خروج صاحب الحق عن جادة الصواب: تستلزم هذه الخلافات والصراعات أحيانا الخروج عن جادة الصواب حتى من قبل صاحب الحق ؛ فقد ينتج عن دفاعه ردة فعل مبالغ فيها غير منضبطة، ليقابل الفكر بردة فكر معاكس يخالفه ؛ ومن أجل أن تكون هذه المخالفة أوقع في نفس المقابل نراه يلجأ إلى الغلو فيقع في دائرة الخطأ دون أن يقصد.

٧- المبالغة في عرض العقائد المنحرفة والأفكار الباطلة والضلالات: من التداعيات السلبية على الخطاب الإسلامي بسبب الخلافات العقدية وتغذيتها من القوى الخارجية ونتيجة التعصب المذموم والتنافر يحرص كل واحد من المختلفين على المبالغة في عرض أفكاره ومعتقداته وطقوسه، فيسلط عليها الأضواء والإعلام بدافع رد الفعل، وهذا الأمر يلقي بتداعياته على الخطاب الإسلامي داخلياً وخارجياً، أما داخلياً فإنه يبث الوهن والضعف للأمة الإسلامية وأما خارجياً فتراه يعكس صورة غير جيدة عن تعاليم الإسلام وأحكامه لأن المتلقي الخارجي قد لا يفرق بين صاحب الحق وصاحب الباطل ؛ لأن كلاً منهما يقدم نفسه تحت عنوان إسلامي، فيشاهد البدع والضلالات والتطرف والغلو ويزعم أنها من تعاليم الإسلام، فيصرف نفسه ومن معه عن الإسلام والدخول فيه وهذا بحد ذاته تحدياً للخطاب الإسلامي المعاصر.

٨- رفض الخطاب الإسلامي الناتج عن التيار المتشدد في طرحه أو المتهاون والمتساهل: فهذا الأمر يمثل خسارة ميدانية في الجانب الدعوي الإسلامي، ويعد فرصة سانحة لخصوم الإسلام لاستثمار هذا التشدد أو التهاون وتوجيهه في تشويه حقيقة الإسلام وصورته، كما انه يستلزم خسارة المنفعة الدعوية التي تصدر من التيار المتشدد أو المتهاون في الساحة الإسلامية دعاةً وأتباعا فيما لو كانوا معتدلين لا متنافرين، من حيث الانتفاع بهم وتقوية الدولة الإسلامية، أما من حيث إسلاميتهم فهم داخل الدائرة الإسلامية ما

داموا لم يخالفوا أصلا من أصول الدين.

المطلب الرابع:

الخلافات السياسية وتداعياتها على الخطاب الإسلامي

يمتاز الدين الإسلامي بالشمولية في أحكامه وصلاحيته لكل زمان ومكان، فيشمل الجوانب الأخلاقية والاجتماعية والاقتصادية وغيرها، وكذلك يشمل الجوانب السياسية من حيث نظام الحكم وأدواته وإدارة الدولة وشؤونها وعلاقاتها مع جيرانها وغير ذلك من المبادئ السياسية، وقد يطرأ على الجوانب السياسية في الشريعة الإسلامية بعض الخلافات في الاتجاهات الفكرية والرؤى السياسية من حيث تطبيقها على ارض الواقع.

والسياسة الشرعية هي حلقة من حلقات الدين الإسلامي وجزء منه، وليس الإسلام حلقة من حلقات السياسة أو جزء منها، كما هو واقع عند بعض الأحزاب الإسلامية والجماعات أو التجمعات السياسية من الناحية التطبيقية، والتي تجعل الإسلام حلقة من حلقاته، وهنا تكمن خطورة الوضع ؛ حيث يظهر أثر ذلك عندما يتقاطع الإسلام مع السياسة أيهما يقدم ؟ وقسْ على ذلك

والسياسة لا تشكل خطراً على الخطاب الإسلامي بحد ذاتها بالعكس، فإن السياسة جزء من الإسلام، ولكن الخطر والتحدي يظهر عندما يُختزل الإسلام بهذا الحزب أو ذاك أو المجموعة أو الهيئة السياسية، فيستلزم هذا الأمر التعصب الحزبي المذموم، ويكون المعيار في قبول الخطاب أو ردّه صدُوره من الجهة التي ينتمي إليها وليس الإسلام، فيقدم الخاص على العام والفرع على الأصل، وهذا يعد خروجا عن مسار الخطاب الإسلامي الحقيقي، ليتحول الخطاب من خطاب إسلامي إلى خطاب حزبي يستغل أصحابه الدين للوصول إلى مكاسب سياسية دنيوية قد تتعارض مع الخط العام للخطاب الإسلامي في بعض الأحيان، ومن النماذج المعاصرة: الصراع

السياسي المذهبي الموجود في العراق والبحرين[١] ولبنان في السنوات الأخيرة، والصراع الحالي في سوريا[٢].

(١) الاحتجاجات البحرينية ٢٠١١-٢٠١٢م: هي حملة احتجاجات شعبية بدأت تصعيداً يوم الاثنين ٢٠١١/٢/١٤ م، متأثرة بموجة الاحتجاجات التي اندلعت في الوطن العربي مطلع عام ٢٠١١م وبخاصة الثورة التونسية وثورة ٢٥ يناير المصرية اللتين أطاحتا بالرئيس التونسي زين العابدين بن علي والمصري حسني مبارك، قاد هذه الاحتجاجات المعارضة التي تطالب بإصلاحات سياسية واقتصادية، وكان مقر الاعتصام بداية في البحرين الذي يُسميه المعارضون دوار اللؤلؤة، ويرى رئيس رابطة العالم الإسلامي، د. يوسف القرضاوي، بأنه من الواضح أن الاحتجاجات في البحرين طائفية بحتة موجّهه ضد أهل السنة في تصريح تحت عنوان (ثورة البحرين مذهبية تستهدف السُنّة) نقلته شبكةCNN بالعربية، بينما أكدت الجمعيات السياسية (وعد، الوفاق، المنبر التقدمي، الإخاء، التجمع القومي، التجمع الوطني) بأن مطالبها سياسية بحته وأعلنت تمسكها بـ«المجلس التأسيسي» المنتخب للتحاور وإنهاء الأزمة. ينظر: موقع شبكةCNN بالعربية حيث نقلت تصريح القرضاوي، يوم الخميس بتاريخ (٧ شباط/٢٠١٣م)، رابط: http://arabic.cnn.com/، وينظر: الانتفاضة البحرينية ٢٠١١-٢٠١٢م، الموسوعة الحرة، من ويكيبيديا، https: //ar. wikipedia. org/wiki

(٢) الأزمة السورية أو الثورة السورية أو الحرب الأهلية السورية: هي أحداث بدأت شرارتها في مدينة درعا حيث قام الأمن باعتقال خمسة عشر طفلا إثر كتابتهم شعارات تنادي بالحرية على جدار مدرستهم بتاريخ ٢٦ فبراير ٢٠١١ وفي خضم ذلك كانت هناك دعوة للتظاهر على الفيس بوك في صفحة لم يكن أحد يعرف من يقف وراءها، استجاب لها مجموعة من الناشطين يوم الثلاثاء ١٥ مارس عام ٢٠١١ وهذه المظاهرة ضمت شخصيات من مناطق مختلفة، واستمرَّت بعدها بالتوسع والتمدد شيئاً فشيئاً أسبوعاً بعد أسبوع، وفي ٣١ مارس ألقى بشار الأسد خطاباً في أول ظهور علني له منذ بدء حركة الاحتجاجات، لكن المظاهرات استمرَّت بالخروج مع ذلك، وفي يوم الأحد (٢١ يوليو – ليلة الأول من رمضان) أطلق الجيش السوري عمليات في مدن عديدة في أنحاء سوريا، أبرزها: حماة ودير الزور والبو كمال ويعد ذلك اليوم أكثر أيام الاحتجاجات دموية للأيام التي سبقتها، وفي أوائل شهر يونيو وبعد تفاقم حالات الانشقاق في الجيش السوري على مدى ثلاثة شهور أعلنَ عن تشكيل أول تنظيم عسكريّ يُوحد هؤلاء العسكريين، وهو «لواء الضباط الأحرار» وتلاه بشهرين الإعلان عن تشكيل الجيش السوري الحر، وبدأت اشتباكات عنيفة بينه وبين الجيش السوري النظامي أسفرت عن مقتل العشرات من كلا الطرفين، ولا يزال الصراع مستمرا حتى الآن، ينظر: (الأزمة السورية) من ويكيبيديا، الموسوعة الحرة، https: //ar. wikipedia. org/wiki

وهذه الصراعات الموجودة في تلك البلدان هي أنموذج للصراع السياسي بين المسلمين، ولا يسع المجال للدخول في تفصيلاته ونكتفي بالإشارة إلى بعضها في الهامش، وبغض النظر عن المخطئ أو المصيب في هذا النوع من الخلافات والصراعات، فإنه قد يترتب على ذلك ردود أفعال غير منضبطة من الطرفين، حيث يخرج احدهما أو كلاهما عن الوسطية السياسية الإسلامية إلى الغلو فيكفر احدهما الآخر ويستبيح دمه ويتحول الأمر إلى صراع دموي عسكري يستنزف القوة الداخلية للساحة الإسلامية وفعلاً هذا ما حصل في بعض مناطق هذه الدول.

تداعيات الخلافات السياسية على الخطاب الإسلامي المعاصر.

للخلافات السياسية بين الجماعات الإسلامية والأحزاب تداعيات سلبية على الخطاب السياسي الإسلامي الحقيقي، ومن ابرز هذه التداعيات هي:

١- تشتيت الخطاب الإسلامي وصرفه وإشغاله عن واجبه الأصلي وهو الدعوة العالمية على حساب الخطاب الداخلي للطائفة أو الحزب، وهي الدعوة التي جاء بها النبي محمد صلى الله عليه وسلم: قال تعالى ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾(١)، وقال أيضا: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾(٢).

٢- الرفض الجماهيري للتيار الإسلامي: وذلك بسبب الصراعات الداخلية والاقتتال، وبسبب الصورة السيئة التي يقدمها هذا الحزب أو ذاك، أو فشل الحاكم من هذه الطائفة أو تلك، وهو خلل ناتج عن هذه الشخصيات أو التيارات وليس في الإسلام نفسه، والذين لا يميزون بين الحق والباطل يلجؤون إلى رفض الخطاب الإسلامي السياسي، ويتقبلون الخطابات الأخرى

(١) سورة الأنبياء، الآية: ١٠٧

(٢) سورة سبأ، الآية: ٢٨

غير الإسلامية، ظنا منهم أن الخلل في الإسلام نفسه، ويعتقدون بعدم صلاحيته لقيادة الأمة، فيردوه جملة وتفصيلا.

٣- سيطرة الأحزاب اللادينية على القاعدة الشعبية: حيث أن الخلافات السياسية داخل الأمة الإسلامية والاصطفاف السياسي الطائفي أو الحزبي يعد مصدر قوة للتيارات الخارجية، وهذه الصراعات تفتح الباب على مصراعيه أمام الأحزاب والتيارات اللادينية للتسلل إلى القواعد الجماهيرية الإسلامية والتفوق في طرح خطابها والترويج له على حساب الخطاب الإسلامي والدعوة إليه.

المبحث الثالث:
سبل علاج الخلافات الفكرية
وترشيد تداعياتها على الخطاب الإسلامي

بعد أن عرفنا التداعيات السلبية التي يتركها الاختلاف الفكري بين المسلمين على الخطاب الإسلامي المعاصر، نشرع الآن ببيان جوانب من سبل العلاج التي تساعد على إزالة هذه الخلافات أو ترشيدها وتوظيفها في الاتجاه الايجابي ؛ من اجل قطع الطريق أمام التحديات التي تواجه الخطاب الإسلامي المعاصر في داخل الوسط الإسلامي، ومنها:

١- **الالتزام بالمنهج الإسلامي في طريقة عرض الخطاب الإسلامي وتوجيه الناس إليه، وفق المنهج الذي جاء به القرآن الكريم والسنة النبوية،** قال تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾(١).

وكذلك استخدام أسلوب الموعظة الحسنة والحكمة في طرح الخطاب الإسلامي مع المخالفين والجدال بالتي هي أحسن، قال تعالى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾(٢).

٢- **التعامل مع الآخر على أساس المشتركات والمتفق عليها، وترك الأمور التي تستدعي الاختلاف،** ففي كل اتجاه فكري أو عقدي أو سياسي من الاتجاهات الإسلامية توجد جوانب إيجابية وجوانب سلبية، وغالباً ما تكون الإيجابية منها أكثر من السلبية، وتلك السلبيات هي الهامش الذي يحصل فيه الاختلافات، ومن آفات التفكير البشري انتقاء السلبيات واكتشافها سريعاً أكثر من رؤية

(١) سورة يوسف، الآية: ١٠٨.
(٢) سورة النحل، الآية: ١٢٥.

الإيجابيات، ووجود نسبة من الخطأ في هذا الاتجاه أو ذاك لا يعني ذلك رفض هذا الفكر أو العقيدة جملة وتفصيلا، وكثير من الناس من يندفع إلى البحث عن مواطن الاختلاف والتركيز عليها واعتبارها، قبل مواطن الاتفاق حتى ولو كانت مواطن الاتفاق أكثر من ٩٥%.

لذا يجب على المسلمين أن يكون المنطلق الأساسي في تعاملهم فيما بينهم هي دائرة المشتركات لا المفترقات ما دامت لا تتعارض مع أصل من أصول الدين كما مرّ بيان ذلك، وما دام المقابل لا يبغي ولا يحارب من اجل إثبات بدعته أو ضلالاته.

٣- **عدم استفزاز المقابل في طرح الخطاب الإسلامي والدعوة إليه؛** لأن استفزاز المقابل قد يأتي بردة فعل من الخصم مبالغ فيها فيكون ضرره أكثر من نفعه، وان يتبعوا المنهج القرآني مع الخصوم، كما في قوله تعالى: ((﴿وَلَا تَسُبُّواْ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّواْ ٱللَّهَ عَدۡوَۢا بِغَيۡرِ عِلۡمٖۗ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمۡ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرۡجِعُهُمۡ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾[١].

٤- **دفع الضرر بالحسنى، والرد بقدر الضرر من دون مغالاة،** فإذا كان المخالف يتعرض لأصل من أصول الدين، أو يحارب من اجل إثبات بدعته أو ضلالاته، عند ذلك يدفع الضرر بالتي هي أحسن كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَسۡتَوِي ٱلۡحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُۚ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ﴾[٢].

وإذا لم ينفع هذا الأمر يدفع الضرر بحسب مقدار الضرورة لحماية العقيدة الإسلامية دون غلو وإسراف في الرد، قال تعالى: ﴿فَمَنِ ٱضۡطُرَّ غَيۡرَ بَاغٖ وَلَا عَادٖ فَلَآ إِثۡمَ

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٠٨.

(٢) سورة فصلت، الآية: ٣٤.

عَلَيۡهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾[1]، وبذلك، نسلم على ما في عقيدتنا، ولا نسمح بشيوع العقائد المنحرفة وانتشارها إعلاميا بين الناس، ولا نسمح للعدو الخارجي استثمار هذه الخلافات الداخلية، ولا ننشغل بخلافاتنا الداخلية كليّا عن مواصلة الخطاب الإسلامي والدعوة إليه.

٥- **عدم التعصب الفكري أو العقدي أو السياسي على حساب الدين**، فالشيطان يريد أن يأسلم الجاهلية باسم الإسلام، وهي النصرة المطلقة دون النظر إلى الحق أو الباطل، وهذا الأمر يخالف الشريعة الإسلامية، إذ أن النصرة في الإسلام تكون للمظلوم، وأما الظالم فنصرته بكفه عن ظلمه وإن كان أخا في النسب، يقول النبي ﷺ: (انْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا فَقَالَ رَجُلٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنْصُرُهُ إِذَا كَانَ مَظْلُومًا أَفَرَأَيْتَ إِذَا كَانَ ظَالِمًا كَيْفَ أَنْصُرُهُ قَالَ تَحْجُزُهُ أَوْ تَمْنَعُهُ مِنْ الظُّلْمِ فَإِنَّ ذَلِكَ نَصْرُهُ)[2].

وقد حارب الإسلام تقديم العصبية على الدين كما جاء في حديث النبي ﷺ (والذي نفس محمد بيده لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها)[3].

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٧٣.

(٢) صحيح البخاري، من حديث انس ﷺ برقم (٦٥٥٢) كتاب الإكراه، باب (يمين الرجل لصاحبه إنه أخوه إذا خاف عليه القتل أو نحوه): ٢٥٥٠/٦.

(٣) صحيح البخاري، وهو جزء من حديث (أن امرأة سرقت في عهد رسول الله ﷺ في غزوة الفتح ففزع قومها إلى أسامة بن زيد يستشفعونه، قال عروة فلما كلمه أسامة فيها تلون وجه رسول الله ﷺ فقال (أتكلمني في حد من حدود الله). قال أسامة استغفر لي يا رسول الله فلما كان العشي قام رسول الله خطيبا فأثنى على الله بما هو أهله ثم قال (أما بعد فإنما أهلك الناس قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد والذي نفس محمد بيده لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها). ثم أمر رسول الله ﷺ بتلك المرأة فقطعت يدها فحسنت توبتها بعد ذلك وتزوجت قالت عائشة فكانت تأتي بعد ذلك فأرفع حاجتها إلى رسول الله ﷺ)، من حديث عروة بن الزبير ﷺ برقم (٤٠٥٣) كتاب المغازي، باب من شهد الفتح: ١٥٦٦/٤.

لذا يجب على كل مسلم أن يتجنب التعصب الذي يدفعه إلى قبول الباطل أو وتزيينه؛ لصدوره ممن يتفق معهم عقائدياً أو فكرياً أو سياسياً، وعليه أن يقول الحق ويقف معه، ولو كان ضد قوله أو رأيه أو نفسه أو عشيرته أو الأقربين قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُواْ ۚ وَإِن تَلْوُۥٓاْ أَوْ تُعْرِضُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾(١).

فيحب قبول الحق والرضا به والتسليم له، لا فرق عنده في أن يظهر على يديه أو على يد مخالفه وهذا هو منهج العلماء، يقول الإمام الشافعي: (مَا نَاظَرْتُ أَحَدًا فَأَحْبَبْتُ أَنْ يُخْطِئَ)(٢).

٦- **التركيز على الأهداف الكبرى للخطاب الإسلامي وعدم تشتيت الجهود:** فكلما كبرت الغاية قلَ الاختلاف، وكلما غابت الأهداف الكبرى غرقت الأمة في بحور الجدل، وتنازعت حول مسائل فرعية هامشية صغيرة تضيّع وقت الدعاة، في وقت تحتاج الأمة الإسلامية إلى تكثيف الجهود وتوحيدها، ولذلك غضب عبد الله بن عمر ﷺ عندما سأله رجل عن دم البعوض يكون في ثوب الرجل، فقد وردعن ابن أبي نُعم قال: (كنت شاهداً لابن عمر وسأله رجل عن دم البعوض، فقال: ممن أنت؟ فقال: من أهل العراق، قال: انظروا إلى هذا، يسألني عن دم البعوض وقد قتلوا ابن النبي ﷺ، وسمعت النبي ﷺ يقول هما ريحانتيَّ من الدنيا)(٣).

---

(١) سورة النساء، الآية: ١٣٥.

(٢)آداب الشافعي ومناقبه، لأبي محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر، الرازي ابن أبي حاتم (ت ٣٢٧هـ)، تقديم وتحقيق وتعليق: عبد الغني عبد الخالق، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م: ٢٤٧.

(٣) صحيح البخاري، برقم (٥٦٤٨)، كتاب الأدب، باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته: ٢٢٣٤/٥.

٧- **إظهار حقيقة الإسلام وقيمه الكبرى وسماحته ورحمته وحفظه لمصالح الناس وحقوقهم:** ويكون ذلك عن طريق استثمار الوسائل الإعلامية المعاصرة ووسائل الاتصال الحديثة، وتضمين هذه السمات في الخطاب الإسلامي المعاصر والتركيز عليها، وعدم الوقوع في مصائد أعداء الإسلام الذين يعرضون صورة الإسلام مشوهة، ويسوقون الخطاب الإسلامي بأنه متمثل ببعض الأشخاص أو التيارات التي تحسب على الإسلام وهي بعيدة كل البعد عنه.

٨- **تولية المناصب المؤثرة في المجتمع الإسلامي لشخصيات متوازنة في الفكر الإسلامي،** وإبعاد الشخصيات المتأثرة بالأفكار الدخيلة، أو العصبية الحزبية أو العرقية، أو الأفكار الخارجية التي تتعارض مع الإسلام.

٩- **تكثيف الإرشاد الديني الإسلامي تجاه غير الملتزمين من المسلمين:** فبعض أفراد المسلمين ممن يضعف وازعهم الديني، وغير ملتزمين بتعاليم الإسلام وآدابه، هؤلاء النماذج يجب إعادتهم إلى جادة الصواب وعدم طردهم عن الساحة الإسلامية أو عزلهم، وذلك بتخصيص مساحة من الخطاب الإسلامي لهم وعدم تجاهلهم، فنحن مأمورون بإرشادهم، كما أن هؤلاء عبارة عن قنابل موقوتة يمكن استغلالها بالاتجاه السلبي للخطاب الإسلامي من قبل الأعداء ما لم يتم نزع فتيل الأفكار المنحرفة من عقولهم.

وهناك سبل علاجية أخرى ذكرها بعض العلماء والباحثين ومنها:

١. **البعد عن الأسباب الجالبة للاختلاف والبعد عن مسائل الشغب والفتنة وإثارتها:** ، قال الآجريُّ في كتابه أخلاق العلماء إن العالم (إذا سئل عن

مسألة فعلم أنها من مسائل الشغب ومما يورث الفتن بين المسلمين، استعفى منها، وردّ السائل إلى ما هو أولى به على أرفق ما يكون)[١].

٢. **تحاشي الخلاف قدر الإمكان:** وذلك بأمور عدة، منها: حسن الظن، وتغليب أخوّة الإسلام على كل اعتبار، ومنها: حمل ما يصدر من المخالف أو ينسب إليه على المحمل الحسن قدر الإمكان، وإذا صدر ما لا يمكن حمله فيعتذر منهم، ومنها: الالتزام بأدب الكلام في انتقاء أطايب الكلام قال تعالى: ﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾[٢]، وقال: ﴿ وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُواْ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾[٣].

٣. **الإخلاص وقصد الحق، وإصلاح السريرة واستحضار نية الوفاء بعهد الله في بيان الحق:** وبهذا يكون مخالفته لغيره مخالفة أساسها قصد الحق لا المنازعة، قال الخطيب البغدادي: (ويخلص النية في جداله بأن يبتغي وجه الله تعالى... وليكن قصده في نظره إيضاح الحق وتثبيته دون مغالبة)[٤].

٤. **الإنصات وحسن الاستماع للمخالف:** فقد ينكشف عنه ما كان خافياً، وبذل النصيحة وقبولها وطلبها من أصحاب العلم والخبراء والمختصين، وعدم الإفراط في الخصومة[٥].

---

(١)أخلاق العلماء: لأبي بكر محمد بن الحسين بن عبد الله الآجري، تحقيق ومراجعة إسماعيل بن محمد الأنصاري، وعبد اللطيف آل الشيخ، نشر رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد بالمملكة العربية السعودية ١٣٩٨هـ-١٩٧٨م: ٥٤.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٨٣.

(٣) سورة الإسراء، الآية: ٥٣.

(٤) الفقيه والمتفقه: لأبي بكر احمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي (ت٤٦٢هـ)، تحقيق أبو عبد الرحمن عادل بن يوسف العزازي، دار ابن الجوزي، السعودية، ط٢ ١٤١٢هـ: ٤٩/٢.

(٥) ينظر: أدب الاختلاف: ٣٥-٣٧، وضوابط الاختلاف في ميزان السنة: ٢١٧-٢٢٩، والثقافة الإسلامية: ٢٧١.

وأما فيما يتعلق بالخلافات السياسية على وجه الخصوص مع ما سبق:

توحيد الجبهات الإسلامية السياسية بعد التحرر من الحزبية السياسية في تغليب المصالح الخاصة على العامة، والاتفاق على المشتركات في الأهداف وترك المسائل الخلافية والتقاطعات الحزبية التي تلازم السياسيين أحيانا من اجل الوصول إلى مكاسبهم الحزبية والشخصية، وينبغي النزول كتيار موحد تجاه التيارات الفكرية التي تتعارض مع الخطاب الإسلامي وفقا لمنهج إسلامي معتدل لا يسمح بالإفراط أو التفريط بالسلوك السياسي.

وعلى أصحاب التيارات الإسلامية أن يعلموا ويعوا أن الصراعات السياسية الداخلية بين التيارات الإسلامية تفتح الباب على مصراعيه أمام الأحزاب والتيارات اللادينية للتفوق في طرح خطابها والترويج له وكسب الجماهير على حساب الخطاب الإسلامي.

فالخطاب الإسلامي المعاصر مطالب بفهم الواقع والتعامل مع حيثياته عن طريق تكثيف الجهود وتوحيد الصفوف والسعي نحو الأهداف الكبرى وصرف النظر عن الفرعيات والجزئيات التي يسمح بها المنهج الإسلامي الواسع بتجاوزها وكل ذلك ينتهي إلى تشكيل خطاب إسلامي سياسي وفكري مبني على أساس المركزية التي تساعد على استقرار الخطاب، وهذه المركزية الفكرية مصدرها الأساس رد الأمور والإشكاليات إلى القرآن الكريم والسنة النبوية وما تفرع منهما من مصادر.

وهذا الأمر يستلزم رفض الخطاب الطائفي والعنصري بين المسلمين، ورفض التقسيم السياسي والفكري للأمة الإسلامية من منظور استعماري، وهذا التقسيم هو الذي مكّن الاستعمار من الاستفراد بهذه الأمة والسيطرة عليها.

وتوحيد الخطاب الإسلامي والفكري هو منهج إسلامي ثابت في القرآن الكريم قال تعالى: ﴿ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا وَكُنتُمۡ عَلَىٰ شَفَا حُفۡرَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنۡهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ

لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾[١].

ومنهج رصّ الصفوف هو منهج إسلامي يعتمد في صدّ التداعيات الخارجية وتحقيق المكاسب عسكرياً وسياسياً وأي شيء آخر تأتي منه هذه النتائج الايجابية قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ﴾[٢]، وقال الله تعالى: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾[٣].

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٠٣

(٢) سورة الصف، الآية: ٤.

(٣) سورة الأنفال، الآية: ٤٦.

بسم الله الرحمن الرحيم

الخاتـمــة

وفيها الخلاصة وابرز النتائج التي توصلت إليها

الحمد لله الذي بنعمته تَتُم الصالحات، أحْمَده سبحانه وأشكره على تيسيره لي وتوفيقه على إتمام هذا العمل، واسأله الإخلاص والهداية والقَبول، والصلاة والسلام على اشرف رسله، وأزكى خَلْقه سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فبعد أن انتهيت بفضل الله من هذا البحث، اذكر الخلاصة وأبرز النتائج التي توصّلت إليها وهي:

١- ينقسم الخلاف أو الاختلاف من حيث أنواعه إلى اختلاف تنوع وتضاد، وأما من حيث قبوله وردّه فينقسم إلى مذموم أو ممدوح أو سائغ.

٢- الدين الإسلامي يشتمل على أصول وفروع، والخلاف المذموم في الإسلام هو ما كان خلافاً في الأصول، أو كان في الفروع وجرّ إلى منازعة أو خصومة وتعصب بين المسلمين.

٣- الوسطية في الخطاب الإسلامي لا تعني الوقوف بين الحق والباطل، وإنما تعني الوقوف على المساحة المخصصة للحق وعدم الخروج يمينا أو شمالا بالتدافع الفكري أو العقدي.

٤- هناك تداعيات للاختلافات الفكرية والعقدية والسياسية بين المسلمين على الخطاب الإسلامي من حيث قبوله أو ردّه، ومن حيث انتشاره أو انحساره داخل المجتمعات، وهذه التداعيات لا يُستهان بها، ومنها: إشغال الدعاة عن واجب نشر الخطاب الإسلامي العام وتبليغه، وتحول الخطاب من خطاب إسلامي عام إلى خطاب خاص، وصرف الأنظار عن الدخول في الإسلام وتقويض انتشاره، وضعف الحصانة الإيمانية التي تقاوم الغزو الثقافي الخارجي، وكذلك ردّ الفكر الآخر على أساس الخصومة لا الحق، وخروج صاحب الحق عن جادة الصواب، والمبالغة في عرض العقائد المنحرفة والأفكار الباطلة والضلالات، والرفض الجماهيري للتيار الإسلامي، وسيطرة الأحزاب اللا دينية على القاعدة الشعبية داخل البلاد

الإسلامية.

٥- ترشيد تداعيات الاختلافات الفكرية بين المسلمين على الخطاب الإسلامي المعاصر وعلاجها عن طريق خطوات منها: الالتزام بالمنهج الإسلامي في طريقة عرض الخطاب الإسلامي وتوجيه الناس إليه، ومنها التعامل مع الآخر على أساس المشتركات والمتفق عليه لا الخلافات، ومنها عدم استفزاز المخالفين عند طرح الخطاب الإسلامي، ودفع الضرر بالحسنى، والرد بقدر الضرر دون مغالاة، و عدم التعصب الفكري أو العقدي أو السياسي على حساب الدين، والتركيز على الأهداف الكبرى للخطاب الإسلامي وعدم تشتيت الجهود، وإظهار حقيقة الإسلام وقيمه الكبرى وسماحته ورحمته وحفظه لمصالح الناس وحقوقهم عن طريق الوسائل الإعلامية المعاصرة، وتولية المناصب المؤثرة في المجتمع الإسلامي لشخصيات متوازنة في الفكر الإسلامي، ومنها تكثيف الإرشاد الديني الإسلامي تجاه غير الملتزمين من المسلمين، وكذلك البعد عن الأسباب الجالبة للاختلاف والبعد عن مسائل، ومنها الإخلاص وقصد الحق، و إصلاح السريرة واستحضار نية الوفاء بعهد الله في بيان الحق، وتوحيد الجبهات الإسلامية السياسية بعد التحرر من الحزبية السياسية وتغليب المصالح الخاصة على العامة، ورفض الخطاب الطائفي والعنصري بين المسلمين.

وختاما: أسال الله عز وجل أن يتقبّل منّي هذا العمل، وأن يَجْعله خالصا لوجهه الكريم، وان ينفعني بما علّمني، وان يُعلّمني ما ينفعني، واستغفر الله تعالى عن كل زلل أو تقصير قمت به في هذا البحث وفي غيره، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلِّ اللهم وسلّم على سيدنا وحبيبنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين

الباحث

قائمة المصادر والمراجع

وهي بعد القران الكريم:

١. الإتقان في علوم القرآن، للحافظ أبي الفضل جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت٩١١هـ)، تحقيق مركز الدراسات القرآنية، مجمّع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٤٢٦هـ.

٢. الإحكام في أصول الأحكام، لأبي الحسن علي بن محمد الآمدي، (ت ٦٣١هـ)، تحقيق الدكتور سيد الجميلي، نشر دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ١٤٠٤هـ.

٣. أخلاق العلماء: لابي بكر محمد بن الحسين بن عبد الله الآجري، تحقيق إسماعيل بن محمد الانتصاري، وعبد اللطيف آل الشيخ، نشر رئاسة إدارات البحوث العلمية والدعوة والإرشاد، السعودية، ١٣٩٨هـ-١٩٧٨م.

٤. آداب الشافعي ومناقبه، لأبي محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس، الرازي ابن أبي حاتم (ت ٣٢٧هـ)، تقديم وتحقيق وتعليق: عبد الغني عبد الخالق، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.

٥. أدب الاختلاف، صالح بن عبد الله بن حميد، نائب الرئيس لشئون المسجد الحرام، وزارة الإعلام، ط٣، ١٤١٢هـ.

٦. اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم، لأبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، تحقيق: محمد حامد الفقي، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة، ط٢، ١٣٦٩هـ.

٧. تاج العروس من جواهر القاموس، لمحمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، الملقّب بمرتضى الزَّبيدي، تحقيق مجموعة من المحققين، دار الهداية.

٨. التعريفات: لعلي بن محمد بن علي الجرجاني تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ.

٩. التفكير، لمحمد تقي الدين، ط١، ١٣٩٣هـ-١٩٧٣م.
١٠. التقدم العلمي المعاصر وأثره في خدمة الفكر الإسلامي، د. خالد عامر عبيد الشويخ، أطروحة دكتوراه، كلية الإمام الأعظم، بغداد، ٢٠١٢م.
١١. التوقيف على مهمات التعاريف لمحمد عبد الرؤوف المناوي، تحقيق محمد رضوان الداية، دار الفكر المعاصر، بيروت، ودار الفكر، دمشق، ط١، ١٤١٠هـ.
١٢. الثقافة والعقيدة الإسلامية د. محمد عزيز نظمي سالم، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٩٨٦م.
١٣. الحدود الأنيقة والتعريفات، لأبي يحيى زكريا بن محمد بن زكريا الأنصاري، تحقيق: د. مازن المبارك، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط١، ١٤١١هـ.
١٤. خطابنا الإسلامي في عصر العولمة، د. يوسف القرضاوي، دار الشروق، ط١، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٤م.
١٥. السنن الكبرى: لأحمد بن الحسين بن علي بن موسى، أبو بكر البيهقي (ت ٤٥٨هـ)، تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط٣، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.
١٦. شرح العقيدة الطحاوية، لصدر الدين محمد بن علاء الدين عليّ بن محمد بن أبي العز الحنفي، الدمشقي (ت ٧٩٢هـ)، تحقيق: جماعة من العلماء، تخريج: ناصر الدين الألباني، دار السلام للطباعة (عن مطبوعة المكتب الإسلامي)، ط١، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.
١٧. صحيح البخاري، لمحمد بن إسماعيل أبي عبد الله البخاري (ت ٢٥٦هـ)، تحقيق د. مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، بيروت، ط٣، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.
١٨. صحيح مسلم «الجامع الصحيح»، لأبي الحسين مسلم بن الحجاج

النيسابوري، دار الجيل، ودار الآفاق، بيروت.

١٩. ضوابط الاختلاف، د. عبد الله شعبان، دار الحديث، القاهرة، ط١، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م.

٢٠. العقيدة الإسلامية -أركانها -حقائقها -مفسداتها، للدكتور مصطفى سعيد الخن والدكتور محيي الدين ديب مستو، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، ط٦، ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م.

٢١. الفقيه والمتفقه: لابي بكر احمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي (ت ٤٦٢هـ)، تحقيق أبو عبد الرحمن عادل بن يوسف العزازي، دار ابن الجوزي، السعودية، ط٢، ١٤١٢هـ.

٢٢. الفكر الإسلامي تجديده وتقويمه، للدكتور محسن عبد الحميد، دار الأنبار وتقويمه.

٢٣. القاموس المحيط، لمحمد بن يعقوب الفيروز آبادي، نشر مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.

٢٤. الكافية في الجدل، لإمام الحرمين أبي المعالي الجويني، تحقيق د. فوقية حسين محمود، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، ١٩٣٣هـ-١٩٧٩م.

٢٥. الكليات، لأبي البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، تحقيق: عدنان درويش، ومحمد المصري مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.

٢٦. لسان العرب لمحمد بن مكرم بن منظور، تحقيق عبد الله علي الكبير، محمد أحمد حسب الله، هاشم محمد الشاذلي، دار المعارف، القاهرة.

٢٧. مجموع الفتاوى لأحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني. تحقيق، أنور الباز، عامر الجزار، دار الوفاء، ط٣، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.

٢٨. محاضرات في الثقافة الإسلامية، د. راشد شهوان، كلية الدعوة وأصول الدين، جامعة البلقاء التطبيقية، ١٩٩٤م.

٢٩. معجم مقاييس اللغة، لأبي الحسين أحمد بن زكريا بن فارس، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.
٣٠. المفردات غريب القران، لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢هـ)، تحقيق محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، لبنان.
٣١. مقدمة ابن خلدون، لعبد الرحمن بن محمد بن خلدون (ت ٨٠٨هـ)، دار القلم، بيروت، ١٩٨٤م.